جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مجلة الآداب
ردمد (ورقي): ٣٦٢٠-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Arts
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3620
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٣)، ع (٢)، ص ص ٣٩-٥٣، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢١م/ ١٤٤٢هـ)
Journal of Arts, Vol. 33 (2), pp 39-53, © King Saud University, Riyadh (2021 /1442H.)

جهود بعض اللّغويين العرب في وضع المصطلحات في بداية العصر الحديث

محمد إبراهيم الثاقب

أستاذ النحو واللغة المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ٢٥/ ٣/ ١٤٤٢هـ، وقبل للنشر في ٢٣/ ٧/ ١٤٤٢هـ)

الكلمات المفتاحية: الاشتقاق، النحت، التركيب المزجي، إحياء التراث اللغوي، الاقتراض.

ملخص البحث: يتناول هذا البحث الجهود اللغوية التي قام بها بعض اللغويين العرب من أجل وضع مصطلحات عربية مقابلة للمصطلحات الأجنبية التي كانت شائعة في مجتمعاتهم في بداية العصر الحديث، حيث كانت أغلب الألفاظ التي تتسم بالجانب الحضاري ألفاظًا أجنبية غير عربية، كالمخترعات الحديثة ونحوها.

وقد استعان هؤلاء الروَّاد في عملهم هذا بمجموعة من الطرق العربية الأصيلة، كالاشتقاق، والنحت، والتركيب المزجي، وإحياء التراث اللغوي، كما وضعوا قيودًا على استعمال الألفاظ غير العربية.

Some Arab Linguists' Efforts in Coining Terms at the Beginning of the Modern Era

Muhammad Ibrahim Al-Thaqib
Assistant Professor of Grammar and Language, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, King Saud University
(Received: 25/3/1442 H, Accepted for publication: 23/7/1442 H)

Keywords: derivation, blending, compounding, giving classical words new meanings, wordloan.
Abstract. This paper looks at the linguistic efforts that was conducted by some Arabic linguists in the field of Arabic terminology, especially their efforts to formulate Arabic terms that are equivalent to the foreign ones used in their societies in the beginning of the modern era. Most of the terms used in the Arabic context at that time were foreign terms (not Arabic) such as those for modern inventions.

In order to formulate new Arabic terms, those pioneer linguists used some classical Arabic tools, such as derivation, blending, and compounding as well as giving classical words new meanings. In addition, they put some specific constraints on the use of foreign terms in the Arabic context.

مقدّمة:

يهدف هذا البحث إلى إبراز الجهود اللغوية التي قام بها مجموعة من اللغويين الغيورين على اللغة العربية؛ كي تكون اللغة قادرة على استيعاب الكلمات الجديدة ذات الطابع الحضاري ونحوها؛ لمسايرة ركب الحضارة، وإثراء اللغة العربية بالمصطلحات التي تفتقد إليها، كما يتناول ذكر أبرز الطرق اللغوية التي استعملوها من أجل تحقيق هذا الغرض، وهذا هو الهدف الرئيس من إنجاز هذا البحث.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستعينًا بالسرد التاريخي أحيانًا.

كما أن هذا البحث يطرح عددًا من التساؤلات، يأتي في مقدمتها: ما المنهج الأنسب للغة العربية من أجل وضع المصطلحات لمسايرة الركب الحضاري دون التخلي عن الهوية اللغوية؟ وكذلك: ما المنهج الذي لا نلجأ إليه إلا عند الضرورة؟ وما مدى الأخذ بهذا المنهج والأثر الإيجابي له في إثراء الدلالة اللغوية؟

وسعيًا لتحقيق غاية هذا البحث والإجابة عن تساؤلاته المطروحة تقرّر أن يتركز في مسارين متوازيين، يتجه أولهما نحو الإنتاج الذاتي للألفاظ، على حين يتجه الآخر إلى الاقتراض الخارجي، وفتح قنوات التعريب؛ إيمانًا بدورها في إثراء الدلالة وتطور اللغة.

ويسبق ذلك مدخل تمهيدي عن الواقع اللغوي العربي قبل عصر النهضة العربية الحديثة.

التمهيد: أزمة الواقع اللغوي العربي قبل بداية العصر الحديث

عند النظر إلى الوطن العربي قبل عصر النهضة العربية الحديثة، يجد المتأمل أنه يقف على واقعٍ لغوي مأزوم، تكمن إشكاليته في أكثر من مجال، فقد كان الاستعمار يقوم بدور الإقصاء والإحلال، ويتمثل ذلك في إقصاء اللغة العربية من التعليم، وإحلال لغة المستعمر (فرنسي- إنجليزي- إيطالي ...إلخ) ففي العالم العربي وأفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى لم يُسمح عمليًا بالتعليم باللغات المحلية (فليبسون، ٢٠٠٧، ص١٦٧) وكان لهذه العملية أثرها البالغ على الواقع اللغوي في الوطن العربي، فحدث ما يشبه شيء من الانفصال بين الماضي والحاضر؛ مما جعل الجيل الجديد يعيش مرحلة التعدد اللغوي، وهذا ما جعل المرحلة السابقة للنهضة العربية الحديثة -إضافة للوضع الحالي- تمثّل أزمةً لغويةً وثقافيةً كبرى في مسيرة اللغة العربية.

حقا، لقد نتج عن الاستعمار ما نستطيع تسميته بالهيمنة اللغوية، ويعني هذا المصطلح "تلك الظاهرة التي تسيطر على عقول شعبٍ معيّن تجاه لغة أجنبية مهيمنة على لغتهم الأصلية، بحيث يعتقدون أنه يجب عليهم استخدام اللغة الأجنبية في تعاملاتهم اليومية، وفي نظامهم التعليمي، وفي جوانب الفلسفة والآداب، والمعاملات الحكومية والقضائية والإدارية، إن الهيمنة اللغوية تتبع منهجية تمكنها من السيطرة حتى على عقول النخبة، بحيث يظن المرء بأن لغته الأصلية لا ترقى إلى مصافِ اللغة الأجنبية المهيمنة، وبذلك يبدأ العزوف عن اللغة الأصلية واحتقارها" (فليبسون، ٢٠٠٧، ص١٧٦).

لقد كان هذا واقع اللغة العربية في جانبها الأول، وكذلك كانت هناك قضية أخرى كان لها أثر كبير في مفاقمة الإشكالية السابقة، وهي أن العصر الحديث كان عصر المخترعات والابتكارات والثورة الصناعية الكبرى بقيادة الأمم الأجنبية، وهذه المخترعات والمصطلحات كان ظهورها وانتشارها بلغتها الأجنبية، وأمام هذين العاملين كان من الطبيعي أن يعاني المصطلح العربي من إشكالية مركّبة ومعاناة مضاعفة، ولكن هذا الواقع الإشكالي كان من ناحية أخرى دافعًا لوجود حالة من المقارنة والاستنهاض بهدفٍ نهضوي يعزز من قيمة الأمن القومي، وينظر إلى اللغة على أنها عنوان الهوية العربية والإسلامية، فالحفاظ على كينونتها وحمايتها واجبٌ ديني ووطني له أبعاده الاقتصادية والسياسية والثقافية، وهذا ما جعل الكثير من علماء اللغة العربية يباشرون مهمة معالجة إشكالية المصطلح، ومقاومة الاستيراد اللغوي، والبحث عن الوسائل الممكنة من أجل التصدي لهذا المدّ اللغوي الجارف؛ حفاظًا على اللغة كونها عنصرا أساسا ممثلا للهوية الوطنية، ومحققة للوحدة العربية والإسلامية، مع وعيٍ كامل بأن النهضة والتنمية لا تتحقق للمجتمعات إلا بلغاتها الأصلية، وهذا الوعي يترجم ما آلت إليه معطيات واكتشافات التطور اللغوي في الدراسات اللسانية الحديثة، حينما أدركت أنه لا يمكن لأي مجتمع بناء نهضة وتنمية

حضارية بلغة أجنبية؛ ولذلك نجد -مثلا- أن الصين واليابان وكوريا وألمانيا...إلخ، لم تخضع لتسويغ ضرورة اللغة العلمية الموحدة، بل اتجهت كل المجتمعات المتطورة إلى بناء تنميتها بلغاتها الأصلية؛ حيث فرضت بعض هذه الدول القوانين الصارمة من أجل الحفاظ على لغاتها؛ وعيًا منها بأهمية اللغة في تحقيق التنمية، وتأطير الانسجام الاجتماعي بين شعوب تلك المجتمعات "حيث إنه لا تتحقق التنمية البشرية إلا عن طريق المعرفة، ولا يمكن إقامة مجتمع المعرفة ما لم تضطلع الدولة بتعميم التعليم الجيّد باللغة الوطنية في جميع أنحاء البلاد، والعناية بالصحة والبنية التحتية، وضمان الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية لجميع المواطنين، إذا أرادت البلدان العربية أن تحقق التنمية البشرية، فعليها أن تفعل ما فعلته دول عديدة كانت في منتصف القرن الماضي أفقر من الدول العربية، ولكنها اتبعت سياسات تنموية صائبة جعلتها في مصافِ الدول المتقدمة...إلخ. والسياسة اللغوية والسياسة التربوية هما في مقدمة السياسات اللازمة لضمان تنمية بشرية عالية" (القاسمي، ١٤٣٧هـ، ص٣٣).

لقد أصبحت اللغة في تطور الفكر الحضاري المعاصر العامل المركزي في تحقيق التنمية الوطنية، وهذا يعني ظهور وعي مختلف بأهمية اللغة ووظيفتها، ينقلها من كونها وسيلة تواصلية -فحسب- إلى جعلها مكونًا رئيسًا في البنية الاقتصادية والسياسية، و"اللغة هي الأداة التي تمكن الفرد من النفاذ إلى مصادر المعلومات، وامتلاك المعرفة، واستيعابها، واستثمارها في إنتاج معارف جديدة؛ ومن هنا أصبحت اللغة والسياسة اللغوية في قلب العملية التنموية أو ركيزة لها" (القاسمي، ١٤٣٧هـ، ص١٧).

وقد يكون الوعي العربي بالسياسة اللغوية واقتصاديات المعرفة أو التخطيط اللغوي متأخرًا في ظهوره المفاهيمي أو الاصطلاحي، ولكنه كان ظاهرًا في مجاله الإجرائي، كما تشهد بذلك مدونة هذا البحث القائمة على رصد جهود بعض العلماء العرب في الاشتغال على حقل المصطلح وتحريره بلغة عربية، وهذا ما يسعى البحث إلى رصده، وبيان قيمته في مجال البحث اللغوي الجديد، وارتباطه بعالم التنمية والاقتصاد المعرفي.

المسار الأول: الإنتاج الذاتي

يقصد بذلك إنتاج ألفاظ عربية مقابلة للألفاظ الأجنبية، مرتكزًا في ذلك على قوانين اللغة العربية وأنظمتها، كالاشتقاق، والتركيب المزجي، والنحت، وإحياء التراث اللغوي، والمجاز.

ولقد استفاد اللغويون من كون اللغة العربية لغة اشتقاقية[١]؛ حيث إنها تركز عليه، والاشتقاق يقوم على نزع لفظة من أخرى لتدل على معنى جديد، على أن يكون هناك تناسب بين المعنى الجديد والمعنى الأصلي (الشهابي، ١٩٦٥، ص١٣). فقد استفاد العلماء من ميزة وجود الأوزان في اللغة العربية التي تخصصت بدلالات معينة، حيث عثروا على أوزان مشهورة لم يختلف النحويون على قياسيتها، مثل (مَفْعَل) للدلالة على المكان، فاشتقوا على هذا الوزن كلمة (مَطْعَم) مقابل كلمة restaurant (ظاظا، ١٩٧٠، ص٨٢). كما وضعوا كلمة (مَلْعب) مقابل playground، وكلمة (مَسْرح) مقابل theater، ولفظ (مَلْهَى) مقابل nightclub، وظهر نجاح هذا الوزن في لفظ (مستشفى)؛ لأن العرب قديمًا كانوا يستعملون سابقًا لفظة فارسية، وهي (بيمارستان)[٢].

ومن الأوزان ما اختلف النحاة في قياسه، مثل وزن "فَعّال" الدال على صاحب الحرفة، فقد ذهب سيبويه (١٣١٦هـ) إلى "أنه مقصور على السماع" (ص٩). أما المبرد (٢٠١٣) فقال "إنه قياسي" (ص١٦١)، ونظرًا لحاجة اللغة العربية إلى هذا الوزن قرّر مجمع اللغة العربية (١٩٣٥) قياسية هذا الوزن (ص١٣). وكان من نادى بهذا قبل قرار المجمع الأمير مصطفى الشهابي، وهو الذي وضع كلمة (نحّال) لمن يربي النحل، وقد استلزم القرار السالف أن يقال أيضًا بقياسية (فِعالة) للدلالة على الحرفة، وقد أقرّ هذا المجمع أيضًا، وكان مصطفى الشهابي (١٩٦٥) قد وضع على هذا الوزن كلمة (نِحالة) مقابل كلمة piculture، ووضع (سماكة) مقابل لفظة pisciculture ووضع (حِراجة) مقابل .sylviculture (ص٧٣- ٧٤).

---

[١] تختلف اللغات في طريقة إنتاج المصطلحات اختلافًا يرجع إلى طبيعة اللغة نفسها، فهناك لغات عازلة، ولغات لصقية، ولغات متصرفة (وافي، ١٩٧٣م، ص١٩٥).

[٢] تعني حرفيًا: دار المَرْضَى.

وقد شجع هذا النجاح المفكرين على تبني القول بقياسية أوزان أخرى بعد أن طالت مطالبة المفكرين بهذا، فمثلًا يوجد في كتب النحاة أن للغة العربية ثلاثة أوزان لاسم الآلة (مِفْعَل- مِفْعَلة- مِفْعَال)، غير أنهم قالوا إنها غير قياسية، ولكن الكتّاب في العصر الحديث تجاهلوا هذا، واستعملوا هذه الأوزان للاشتقاق؛ وذلك لحاجة اللغة الماسة إلى هذا، لاسيما مع ظهور هذا العدد الكبير من الآلات الحديثة، فوضع إبراهيم اليازجي كلمة (مِقْصَلة) لتقابل كلمة gullotiine، و(المِنْضَحَة) لتقابل كلمة shower، ووضع شاكر شقير كلمة (المِنْظَرة) (ظاظا، ١٩٧٠، ص٨٢). ووضع الشهابي (١٩٧٦) كلمات كثيرة مثل (مبذر، ومحصد، ومملسة، ومحشة) (ص١١). حدث هذا كله قبل أن يصدر المجمع قراره بقياسية هذه الأوزان الثلاثة، لكن المجمع أوصى في قراره أن يستعمل الوزن (مِفعَل) للآلات الخاصة بالقياس، والوزن (مِفعَلة) للآلات الخاصة بالرسم والوزن (مفعال) للآلات الخاصة بالكشف، ولم تطبق توصية المجمع.

وبسبب أهمية الآلات في العصر الحديث اقترح العلماء قياسية أوزان أخرى، من أهمها وزن (فعَّالة)، وهو وزن مألوف لدى العرب؛ ولانتشاره في اللهجات العامية، على أنه قد ورد عن العرب مثل (الدَّبَّابة والعَرَّادة) من آلات الحرب، وقد نجح هذا الوزن في اشتقاق أسماء آلات حديثة كثيرة، مثل: (السَّيارة، والغسَّالة، والطَّيّارة، والغَوّاصة).

وقد اقترح الأستاذ محمد بهجة الأثري استخدام وزن (فاعِل) أو (فاعِلة) للدلالة على اسم الآلة، واستشهد على هذا بورود الكثير من أسماء الآلة في اللغة العربية على هذا الوزن، مثل: (الجامعة)؛ أي القيد، و(القالبة)؛ أي السكاكين، و(الغاشية) و(الساقية) و(الحاملة)؛ أي الزنبيل.

وأما مصطفى جواد (١٣٧٦هـ) فكان يرى أن وزن (فاعِل) يدل على اسم الفاعل من الثلاثي، وعلى النسبة كـ (جامل)؛ أي صاحب جِمَال، فإذا أريد به اسم الآلة فإن عينه تُفتح فيكون (فاعَل) مثل (خاتَم، وطابَع، وقالَب) (ص١٣٢). ومع هذا شاع استعمال وزن (فاعِل) للدلالة على اسم الآلة، مثل (رافِعة)، و(كابِحة)، كما استعمل اسم الفاعل من الأفعال المزيدة للغرض نفسه، مثل (مِنْطَاد) الذي اقترحه أحمد فارس الشدياق لتقابل كلمة zepplin (ظاظا، ١٩٧٠، ص٨٢).

واقترح مصطفى جواد (١٣٧٦هـ) أيضا أوزانًا أخرى لاسم الآلة، منها: (فاعول) كـ (ساطور)، و(فُعّالة) كـ(دُوَّامة)، و(فُعَّال) كـ (نُشَّاب) (ص١٨٧).

وقد انتبه العلماء أيضًا إلى وزن (فِعال)، وهو وزن لم يشر إليه النحويون العرب إلا قليلًا، ويذكر أنستاس الكرملي (١٩٣٥) أنه جمع ما وجده في العربية من أسماء الآلة على وزن (فِعال)، فصارت تساوي ما جاء على الأوزان المشهورة، لكنه ذكر أنه فقد الرسالة التي جمع فيها هذه الأسماء (ص٢٨٦). ويقول المستشرق الألماني برجشتراسير (١٩٨٢): "إنّ وزن (فِعال) هو الأصل في أوزان اسم الآلة في العربية" (ص١٠٠)، وقد أقرّ مجمع اللغة العربية استعماله؛ لما تقدم من أسباب.

وقال المجمع (١٩٣٥) بقياسية وزن (فُعال) للدلالة على المرض، وأجاز اشتقاقه من أسماء الأعضاء كما كان العرب يفعلون (كالوراك) من (الورك) (ص٣٤)، وقد نجح هذا الوزن، وجاءت منه كلمات كثيرة كـ(العصاب) neurosis، و(الذهان) psychosis. وقد اقترح الدكتور مرشد خاطر تخصيص صيغة (فُعال) للدلالة على أسماء الأمراض الأعجمية الدالة على الألم، وهي الأسماء المنتهية بالكاسعة Igia، أما الأسماء المنتهية بالكاسعة itis- فيُعبّر عنها بالإضافة، فيقال في hepatitis (التهاب الكبد) (الشهابي، ١٩٧٦، ص٨٦).

ونادى مصطفى الشهابي (١٩٧٦) بقياسية وزن (فَعَل) للدلالة على الأمراض، وأورد على هذا أمثلة كثيرة كـ(المَشَش، والبَرَد، والجَرَد، والفَحَج) (ص٢١٠). وكان مجمع اللغة العربية قد ناقش هذا منذ مدة طويلة، ولم يبتّ فيه بشيء، ووعد بمناقشته مرّة أخرى، لكنه لم يفعل.

ومما اختلف فيه علماء اللغة الكلمات الأجنبية المنتهية باللاحقة able أو ible، وقد قرّر المجمع (١٩٤٨) ترجمة هذه الكلمات بصيغة (يفعل)، فمثلًا تترجم كلمة (edible) بقولنا (يؤكل)، أما الاسم فيترجم بصيغة المصدر الصناعي المأخوذ من اسم المفعول، ومن هذا (edibility) تترجم بقولنا: (مأكولية) (ص٨٩). ولم يشع هذا؛ لأن هذا الأسلوب غير

دقيق ولا يصح إلا في الحالات التي تكون able أو ible فيها لاحقة لفعل متعدٍّ مثل amiable؛ أي محبوب، ولكن لا يصح هذا إذا أضيفت هذه اللاحقة إلى فعل لازم، مثل durable؛ أي خالد، variable؛ أي يمكن تغيره، ولا تصح هذه القاعدة إذا أضيفت هذه اللاحقة إلى أسماء، مثل reasonable؛ أي منقول (الشهابي، ١٩٧٦، ص٥٨٦).

وقد اقترح بعض الباحثين استعمال وزن (مُستفعل)، واستشهدوا على هذا بقول العرب زرع مُسْتحصِد، أي: قابل للحصد، وحائط مُسْترمٌ أي قابل للرم، وبناء على هذه القاعدة خطّأ الباحث هنا قول الناس (طالب مُكَمِّل)، وفضل عليها القول (طالب مُستكمِل). أما (المكمّل) فهو الذي نحج فعلًا (جواد، ١٣٧١هـ، ص١٣٠).

واقترح باحث آخر استخدم وزن (فَعول) ليحل محل الكلمات الأجنبية المنتهية بـــ able أو ible، واستدل على رأيه بوجود كلمة (شَروب) في اللغة العربية، وهي تعني الماء الصالح للشرب، وهذا يقابل بالضبط الكلمة الأجنبية potable، وهكذا يمكن –في رأي الباحث– أن نشتق كلمة (قَلوب) لتقابل reversible؛ أي يمكن انقلابه، وكلمة (مدود) لتعني القابل للتمدد بمعنى extensible، وكلمة (صمود)؛ أي يمكن أن يصمد؛ أي tenable (حقي، ١٣٩٥هـ، ص٢٦).

وفي رأيي لو أردنا الأخذ بهذا الرأي فعلينا أن نشترط ألا يؤدي الأخذ به إلى اللبس والخلط، فمثلًا لو أننا طبقنا هذه القاعدة على (أكل) لقلنا (أكول)؛ أي edible، وهذا يسبب اللبس؛ لأن الناس تعودوا كلمة (أكول) بمعنى كثير الأكل.

ومن الأوزان التي تقدمها اللغة العربية في هذا المجال (فَعَلان) للاضطراب، فقد عدّه مجمع اللغة العربية (١٩٣٥) قياسيًا؛ اتباعًا لرأي سيبويه والأخفش وابن مالك وغيرهم، ولكن المجمع قيّد قراره بأن يكون المصدر مشتقًا من فعل لازم، وقال إن ما جاء منه من أفعال متعدية نحو: شنئته شنآنًا[1] شاذ، والأمثلة عليه من اللازم كثيرة، منها (القَفَزان، والخَفَقان، والدَّوَران، والجَوَلان، والطيَّرَان). وهكذا صيغت كلمة (نَوَسان) مقابل oscillation، و(نَبَضان) مقابل pulsation و(مَوَجان) مقابل ondulation، وغيرها من الكلمات (ص٢٣٢).

ومن الأوزان التي أثْرت اللغة العربية بالمصطلحات: المصدر الصناعي، وهو الاسم أو الصفة مضافًا إليه ياء مشددة بعدها هاء التأنيث،كأنه مؤنث منسوب، وهو موجود عند العرب؛ ولذا سمع عنهم (الرجولية، والجاهلية، ولصوصية، وربوبية، وعيدهية، وعنجهية)، كما جاء منه في القرآن الكريم: (ورهبانية).

وقد أفاد المصدر الصناعي في إيجاد كلمات عربية تقابل الكلمات الأجنبية المنتهية باللاحقة ism– مثل: (وجودية) existemtialism، و(مثالية) idealism، و(واقعية) realism، و(تجريبية) embiricism. وهي تفيد حتى في ترجمة المذاهب المنسوبة إلى أصحابها، فمثل spencerism تترجم (سبنسرية).

وقد أغرى نجاح هذه الأوزان في توليد المصطلحات بعض الباحثين بالتوسع في إحداث صيغ قياسية من هذا النوع، كالشيخ عبدالله العلايلي، فقد قال: إن وزن (فَعُولاء) يقصد به الخاصية المتفردة أكمل ما تكون كـ (الليلة البروقاء)، و(فَعَالاء) الذي يدل على الاتصاف بالشيء مع محاولة خلافه كـــ (الرجل الشراراء)، وهو الذي يقترف الشر، مع أنه يحاول احتذاء طريق الخير، و(فَعَلاء) الذي يدل على التثنّي والامتداد هنا وهناك، كـــ(النهراء) بدلًا من النهر، و(تَفْعَلوت) للدلالة على الذي يتصف بالشيء عند حدوث الحادث فقط، نحو (ترغموت) للذي لا يرغم إلا عند اليأس، و(فَعَليًّا) للدلالة على النفاذ إلى الصميم نحو (حزنيًا) لحالة الحزن التي تمزق الأحشاء التياعًا، و(فُعُلّ) للدلالة على الإطباق في الانتشار، نحو (دُخُنّ) للدخان الذي يطبق الآفاق (الصالح، ١٩٧٨، ص٣٤٠).

وللعلايلي أوزان كثيرة نحو هذا أراد أن تكون قياسية، ولكن لم تلقَ دعوته استجابة عند الناطقين باللغة العربية؛ لإحساسهم بأن كثيرًا من هذه الأوزان لا داعي له، وهذا التعجل عند العلايلي في تقرير قياسية الأوزان يبدو أنه طبيعة له؛ إذ يلاحظ أن هذا التعجل يلازمه في وضع المصطلحات، فهو يضع ألفاظًا يصعب أن يتوقع الإنسان أي نجاح لها، مثل اقتراحه كلمة (أخو إباض)؛ لكي تحل محل كلمة brakes،

---

[1] في قوله تعالى: "ولايَجْرِمنَّكُم شنآنُ قومٍ". قرأه بعض القراء السبعة بسكون النون، وهذا شاذ أيضًا؛ لأنه ليس في المصادر (فَعْلان) إلا كلمات قليلة جدًا (الزمخشري، د.ت، ص٥٩٢).

وكلمة (أبّاث) مقابل كلمة collector في التحليل النفسي، وهو الذي يعنى بجمع الأشياء عناية مرضية.

على أن هذا لا يعني إنكار جهود العلايلي (١٩٦٣) اللغوية، وعلى رأسها معجمه (المرجع) الذي يحفل بكثير من المصطلحات المفيدة[١].

ويشبه العلايلي -إلى حدٍّ ما- في تسرعه أنستاس الكرملي (١٩٣٨)، فقد اقترح أن يكون وزن (فَعْلعَل) وزنًا قياسيًا للدلالة على الصفات التي يمتاز صاحبها بكثرة ما يتصف به منها، واستدل لقوله بما ورد من ذلك نحو (غطمطم)، و(غشمشم)، ونحوها (ص١١٦).

وفيما تقدم دلالة على اتساع اللغة العربية وطواعيتها للاشتقاق، وقد وسّع المحدثون آفاق اللغة العربية بطريقتين:

إحداهما: الإكثار من آلات الاشتقاق، وذلك كما فعل بعض المتقدمين.

والأخرى: توسيع مجال الاشتقاق، وذلك بإجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان بعد أن كان مقصورًا على أسماء المعاني، وقد أجاز هذا مجمع اللغة العربية (١٩٣٥)؛ استنادًا إلى كثرة ما ورد منه في كلام العرب، فعلى سبيل المثال قالوا: (المذهّب، والمفضض، والمدنّر، والمدرهم) من الذهب والفضة والدينار والدرهم، وقد استفادت اللغة العربية من هذا القرار، فقد جاءت بناء على ذلك كلمات مهمة، مثل: (المغنطة، والكهربة، والأكسدة) (ص٣٦).

وبرغم نجاح الاشتقاق في توليد الكلمات فقد فكر اللغويون في وسائل أخرى، كالتركيب المزجيّ، وأكثر ما تظهر أهميته في مصطلحات العلوم الطبيعية، ولا سيما علم الأحياء، وطريقة التركيب المزجي توجد في كثير من اللغات، وهي مستعملة في اللغة العربية بقلة، مثل (حضرموت، ومعديكرب) ونحوها، ولكن هذه الطريقة أنجح ما كانت في اللغة الألمانية، فهم يترجمون التلفون بقولهم: fahrsprechen؛ أي: التكلم من بعيد، والتلفزيون بقولهم: fahrsenen؛ أي الرؤية من بعيد، ويقولون: sauerstoff بمعنى (الأكسجين)، وهي ترجمة لاسمه اليوناني الأصل، ولكن سبب نجاح هذه الطريقة في الألمانية أنها تعتمد عليها منذ البداية، ففي الألمانية كلمة قفاز معناها: Hand schuh؛ أي حذاء اليد، أما العربية فتفضّل الاشتقاق؛ لذا لم تثمر هذه الطريقة كثيرًا.

وقد أجاز مجمع اللغة العربية في دورته الحادية والثلاثين (١٩٦٤- ١٩٦٥م) التركيب المزجي للضرورة، وقد حاول بعضهم استثماره في مصطلحات علم الأحياء، مثل: (بطنقدميات، ورأسقدميات)، ولكنهم لم يوفقوا (الشهابي، ١٩٧٦، ص٢٠٥).

والنحت أكثر أهمية من التركيب المزجي، وأكثر إثارة للنقاش، وقد حاول علماء اللغة الإفادة من النحت؛ لأنه كان مستعملًا في عصور الفصاحة.

قال ابن فارس (١٩٦٣): "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار" (ص٢٧١). وقد ألف الظهير الفارسي كتابًا جمع فيه الألفاظ المنحوتة وسماه (تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب)، ومن أمثلة الألفاظ المنحوتة (الحمدلة) من قولهم: (الحمد لله)، (والبسملة) من قولهم (بسم الله)، ولكن ذهب أكثر النحويين واللغويين إلى أنه غير قياسي، في حين ذهب ابن فارس (١٩٦٣) إلى أن أكثر الرباعي والخماسي في كلام العرب منحوت مثل (صَهْصَلق) فهي في رأيه منحوتة من صَهَلَ وصَلَقَ، و(ضبطر) يرى أنها ضبر وضبط ونحوها (ص٢٧١).

ونظرًا لحاجة اللغة العربية إلى النحت في توليد المصطلحات العلمية أقر مجمع اللغة العربية (١٩٥٣) النحت [٢] وإن قيده بأن يكون في لغة العلوم فقط، على أن يراعي -ما أمكن- استخدام الحروف الأصول دون الزوائد، فإن كان المنحوت اسمًا اشترط أن يكون على وزن عربي، والوصف منه يكون بإضافة ياء النسب، وإن كان فعلًا كان على وزن (فعلل) أو (تفعلل) إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك (ص٢١٠). وقد جاء تجويز المجمع لهذه نتيجة لمطالبة كثير من المفكرين، فعلى سبيل المثال كتب مارون غصن (١٣٥١هـ) مقالًا بعنوان: "النحت في اللغة العربية وسيلة لتوسيع اللغة العربية"، عدّد فيه مزايا النحت (ص٣٠٠).

---

[١] مثل الطيور الأوابد بمعنى Nonmigranis. (العلايلي، ١٩٦٣، مادة: أبد).

[٢] عاد مجمع اللغة فتكلم عن هذه الظاهرة بتوسع أكثر، ونشر قراره في مجلة المجمع (١٩٥٣، ص١٥٨).

ومن الكلمات التي جاءت بالنحت (الحلمأة) (حلل بالماء) ترجمة to hydrolise، و(نزجنة)؛ أي (نزع الهيدروجين) ترجمة dehyrodention.

على أن أكثر ما شغل المفكرين هو نحت سوابق ولواحق على غرار اللغات الأجنبية، فقد اقترح ساطعُ الحصري أن تستعمل (قبل) مع كلمة أخرى بطريقة النحت؛ لتقابل السابقة الأجنبية pre، مثل (قبتاريخ)؛ أي prehistory، و(قبطوفان)؛ أي قبل الطوفان.

وعلى هذا الغرار نحت (تحشعوري) subconsious، أي: تحت الشعوري (الحصري، ١٣٩٥هـ، ص٤٥)[١]. وهو اقتراح جيد، لكنه لم يُنفذ للأسف.

وأما إحياء التراث اللغوي فإنه ليس خافيًا على الكثيرين أنه توجد في اللغة العربية مصطلحات كثيرة، وهذه حقيقة ثابتة بالنسبة إلى الأشياء المعروفة منذ القدم، كأعضاء جسم الإنسان، وكأسماء حيوانات العالم القديم، أما الأشياء التي لم تعرف إلا في العصر الحديث، كالآلات الحديثة، وحيوانات العالم الجديد ونباتاته، ففي اللغة العربية مصطلحات ومفردات يقارب معناها معاني أسماء هذه الأشياء في اللغات الأجنبية، فتطلق عليها.

ففي مجال أسماء الحيوان والطير، يوجد طائر يسمى بالإنجليزية (swan)، وهو من أجمل الطيور وأشهرها لارتباطه بأشهر مقطوعة باليه (swan lake)، ويسمى بعض الناس هذا الطائر (بجعًا)، ويسمى المقطوعة السالفة الذكر (بحيرة البجع) وهذا خطأ؛ لأن البجع طائر آخر يسمى بالإنجليزية (pelican)، ويسمى هذا الطائر بالعامية (التم، والوز العراقي)، وفي هذه الحيرة استطاع أنستاس الكرملي (١٩٣٨) أن يظفر باسم الطائر في اللغة العربية، وهو (القيق) مقلوب (يقق)[٢]؛ أي خالص البياض؛ لأن هذا الطائر شديد البياض، حتى إن المثل يضرب به في هذا (ص١١٧).

وكان العامة يستعملون كلمة (بوسطه) الأجنبية، حتى استطاع أحمد فارس الشدياق أن يحيي كلمة (بريد) من قبرها، وقد تعودنا الآن كلمة (بريد) حتى إننا نعجب من كون هذه الكلمة مجهولة في وقت من الأوقات.

وكان الناس يستعملون كلمة (باسبور) للدلالة على الوثيقة المؤذنة بتخويل صاحبها حق السفر، وهي تعريب passport بنطقها الفرنسي، ثم نشر خليل اليازجي كلمة (جواز)، فأصبحت تستعمل محل باسبور، لاسيما في المجال الرسميّ، وإن ظلت كلمتا (باسبور، وبوسطه) معروفتين في الأوساط العامية في بعض البلدان العربية (ظاظا، ١٩٧٠، ص٨٢).

ومن ذلك كلمة (اللماعة)، فهي في كتب اللغة (العُقَاب) عمومًا، لكن توصل أمين المعلوف (د.ت) إلى أن المقصود بها نوع معين من العقبان يعرف في الإنجليزية باسم (Golden Eagle) (ص١٦٠).

ومن الدليل على سعة اللغة العربية أن أمين المعلوف (د.ت) رغم اجتهاده الشديد في جمع المصطلحات التي حفلت بها اللغة العربية في أسماء الحيوان والطير، فقد فاتته كلمات الله أعلم بعددها، فمنها أنه لم يعرف في اللغة العربية اسمًا لنوع من أنواع العقبان يسمى في الإنجليزية باسم (sea eagle)، مع أن اسمه في اللغة العربية (عقاب عجزاء) إشارة إلى الريش الأبيض عند عجزها، كما فاته اسم (القيق) السالف ذكره (ص١٦١).

وفي مجال الموسيقى نجد مصطلح (accompaniment)، وهي كلمة تعني متابعة الغناء بالآلة والصوت، ولها مقابلات في اللغة الأجنبية، وكان يعتقد أنه لا يوجد مقابل لهذه الكلمة في اللغة العربية حتى استطاع بشر فارس (١٩٣٩) أن يجد مصطلحين يعبران عن هذا، أحدهما (المساوقة)، وهي متابعة المغني بالآلة، والآخر (المراسلة)، وهي متابعة المغني بالصوت (ص١١٧)، وهكذا تبين أن اللغة العربية أكثر دقة من اللغات الأجنبية.

إن ما تقدم ليس إلا نموذجًا لأبحاث اللغويين المعاصرين، وهي دليل على غنى اللغة العربية، وأنها منجم غني بالمصطلحات اللغوية، ولا ينقصه إلا وجود العاملين الأكفاء.

ومما يؤسف له أن بعض اللغويين قد تسرعوا في وضع بعض المصطلحات، رغم وجود ما يقابلها في اللغة العربية،

---

[١] ولا يخفى أن هذا المقال منشور بعد وفاة ساطع الحصري.

[٢] ومنه جاءت الكلمة اليونانية kykos، واللاتينيةcycus ، ومن ثم الفرنسة cygnet بالمعنى نفسه.

فقد وضعت كلمة (مواطن) مقابل كلمة countryman، رغم وجود كلمة (بلدي) في اللغة العربية. يقال: فلان بلدي فلان؛ أي من بلده[١].

وبوسع العربية أن تفيد في مجال آخر لم تعرفة من قبل، وذلك باستعمال كلمة تدل على معنى قديم، ووضعه لمعنى جديد لضرب من الاتفاق المعنوي أو الصوتي.

والاتفاق المعنوي أكثر أهمية من الاتفاق الصوتي الذي لم يترتب عليه إلا ألفاظ قليلة.

فمن المعروف أن نبات التبغ نبات وافد من العالم الجديد، وقد وجد بعضهم أن للعرب نباتًا اسمه يختلف عن التبغ، فأطلقه عليه؛ نتيجة للتشابه في الاسم (الشهابي، ١٩٦٥، ص٦٦).

وممن تفوق في هذا أنستاس الكرملي (١٩١٦)، فقد أحيا كلمة (السقل) بمعنى النحيل، ووضعها مقابل skeleton التي نترجمها الآن بقولنا: (هيكل عظمي) (ص٤٥)..

ووضع كلمة (الرسّ) مقابل كلمة race، وهي تجمع بين التوافق اللفظي والمعنوي، وأتى بكلمة (الركن) لحيوان من القوارض وأطلقها على (الراكون) الذي هو من اللواحم carnivores (المعلوف، د.ت، ص١٦٩).

وأما إكساب الكلمات العربية القديمة معاني جديدة للمشابهة المعنوية أو ما يعبر عنه بالمجاز، فهو أكثر فائدة وأقدم.

وقد استعمل العرب هذه الطريقة عندما أخذوا كلمة (صفر)، وأطلقوها على الصفر الحسابي، والذي استعارت اسمه معظم اللغات الأوربية من العربية.

كما أخذت (الجبر) وأطلقته على العلم، وأيضًا احتاج الأوروبيون لأخذ الاسم العربي للدلالة على هذا العلم (عبد الباقي، ١٩٧٩، ص٥٢).

فمما جاء بهذه الطريقة (البرق) بمعنى telegraph للتشابه في السرعة (ظاظا، ١٩٧٦، ص٥٢).

والهاتف، وهو الصوت الذي لا يعرف مصدره مقابل telephone.

و(القطار) بمعنى الإبل التي تسير واحدة إثر واحدة مقابل train.

و(البطريق) بمعنى الطائر السمين للطائر المسمى penguin.

ولم يكتب لجميع الكلمات من هذا النوع النجاح، بل ماتت كلمات كثيرة منها (المدرة) بمعنى الحامي، و(الشاري) بمعنى مانعة الصواعق.

وأخيرًا فما تزال اللغة العربية غنية بألوف المصطلحات التي تحتاج لمن يكشف عنها، ومن مناجم هذه المصطلحات المصادر الآتية:

(الزينة) لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي: وقد اقتصر فيه على الألفاظ الإسلامية التي وردت في القرآن الكريم والسنة، وعلى ألسنة الفقهاء.

(مفاتيح العلوم) لأبي عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي، ولاسيما ما جاء في المقالة الثانية من هذا الكتاب التي تتعلق بالعلوم الدخيلة.

(مفردات الأدوية والأغذية) لابن البيطار: وهو من أكثر الكتب أهمية في هذا المجال، ولكن تصعب الإفادة منه؛ لأن طبعاته كثيرة التصحيف، فيحتاج لمن يصححه، على شرط أن يكون المصحح عارفًا باليونانية؛ لكثرة ما ورد في الكتاب من أسماء يونانية.

(المعتمد) في الأدوية المفردة للملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، وهو ناقلٌ أكثر منه باحثٌ.

(التعريفات) للشريف الجرجاني: وهو صغير.

(تذكرة) داود الأصبهاني.

(كليات العلوم) لأبي البقاء العكبري.

(كشاف اصطلاحات الفنون) لمحمد صابر التهانوي.

وهذه نماذج فحسب، وهناك غير هذه المصادر كثير.

المسار الثاني: الاقتراض الخارجي:

ويقوم هذا المسار على إدخال الألفاظ الأجنبية إلى اللغة العربية، وهو وسيلة قديمة لإثراء اللغة، ولا يُلجأ إليها إلا عندما لا يتوافر مقابل عربي للمعنى المراد، وقد كان المعجميون القدماء يطلقون مصطلح (دخيل) أو (معرّب) على كل لفظ غير عربي، وكما نجحت اللغة العربية في توليد الألفاظ، فهي قادرة على النجاح في هذا المجال أيضًا؛ لأنها تحوي من الخصائص ما يكفل لها نجاح الأمرين.

[١] يوجد من هذا أثر في عامية مصر.

وقد اختلفت نظرة العلماء في قضية الاقتراض من اللغات الأجنبية في عدها وسيلة لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة، فمثلًا ذهب رفائيل نخلة (١٩٦٦) إلى أن ذلك خير وسيلة لإغناء اللغة العربية، وأن الأخذ به أفضل كثيرًا من الأخذ بالاشتقاق، واستدل على هذا بأن القدماء من العرب أدخلوا في لغتهم آلافًا من الكلمات الدخيلة، ولم يروا في هذا غضاضة أو خطرًا على اللغة (ص٢٨٦).

والجواب على حجته أن الكلمات الدخيلة في اللغة العربية ليست بالكثرة التي يتخيلها رفائيل نخلة، وسبب احتجاجه اعتقاده أن كل كلمة تتفق فيها العربية مع لغة سامية كالسريانية، والعبرية، والحبشية فهي دخيلة، وهذا خطأ، والصواب أنها من أصل مشترك. وكذلك كثير من الكلمات التي يقال إنها دخيلة من الفارسية واليونانية هي في الواقع من أصل سامي، لكن أخذتها الفارسية واليونانية. وقد ألف أحد العلماء[١] (باقر، ١٩٨٠) كتابًا في الكلمات السامية التي دخلت اليونانية، ومن هنا يتبين أن العرب لم يكونوا متساهلين إلى الدرجة التي تخيلها رفائيل نخلة.

وقد أيد بعض الباحثين رأي رفائيل نخلة، واستدل له بأن الكلمات الحديثة كثيرًا ما تكون متحدة في أكثر اللغات مثل (تلفون، وتلفزيون، وراديو)، فإذا عربت اللغة العربية مثل هذه الكلمات صارت متقاربة مع تلك اللغات، وهذا يسهل فهمها على العرب (ظاظا، ١٩٧٦، ص٩٢).

والجواب إن نشر المعرفة باللغات الأجنبية بين العرب مسألة يمكن حلها بتدريس تلك اللغات في المرحلة الثانوية والجامعية وغيرها، ولاسيما أن تعريب هذا القدر من الكلمات لا يسبب التقارب المطلوب إلا أن يكون المقصود المصطلحات العلمية شديدة التخصص، فهذه مسألة أخرى؛ لأنها لا تعني إلا طائفة يسيرة من المتخصصين.

وبالمقابل يصعب القول إن اللغة العربية قادرة على إنتاج جميع المصطلحات التي تحتاج إليها[٢] ، وربما كان هذا ممكنًا، ولكن الأخذ به يؤدي إلى التأخر عن مواكبة التطور العلمي الذي يأتي بالمصطلحات كل يوم، ولما أُسس مجمع اللغة بالقاهرة كان من أوائل الأمور التي بتّ فيها قضية التعريب، فقد أجاز المجمع (١٩٣٥) مبدأ الاقتراض من اللغات الأجنبية للضرورة (ص١١). ويبدو أن بعض الباحثين تناسى القيد الأخير، فأخذ ينادي بهذا الأمر وإدخال الألفاظ الأجنبية باللغة واستعمالها في المصطلحات العلمية، وإن وجد ما يقابلها في اللغة العربية، معتمدًا في هذا على وجوب الفصل بين اللغة العلمية واللغة الأدبية، فالإنسان إنسان في لغة الأدب، وأما في لغة العلم فهو هومر سابينس Homo Spiens. وعظمة الساق يقال لها (الظنبوب) في لغة الأدب، ولكن اسمها في لغة العلم تبيا tibia (حسين، ١٩٥٥، ص١٣٨).

ومن الطبيعي أنه لابد من التسليم بوجود فروق بين لغة العلم والأدب، ولكنها لا توجب علينا أن نوسع الخلاف بالشكل الذي يريده هذا الباحث، واللغة العربية قادرة على استيعاب الخصائص المتعلقة بالأسلوب الأدبي والمتعلقة بالأسلوب العلمي دون انتهاج هذا الأسلوب.

والحقيقة أن إدخال الكلمات الأجنبية أمر تفرضه الضرورة، وهو رأي كبار علماء اللغة العربية في العصر الحديث، ويقتبس عيسى إسكندر معلوف (١٩٠٨) قول إبراهيم اليازجي: "وأما أن إدخال كلمات أعجمية إلى لغتنا يعد دليلًا على ارتقائها ففيه نظر، لكنه مما تلجئ إليه الضرورة... وإلا فإن إدخال اللفظ الأعجمي مع وجود لفظ عربي بمعناه، كاستعمال (الأورطي) مثلًا في مكان (الأبهر)، و(الألبومين) مكان (الأُح)، و(الجيلاتين) مكان (الهلام)، و(الكاوتشوك) مكان (المطاط)، و(الأسيد) مكان (الحامض)... كل ذلك يعد دليلًا على انحطاط اللغة" (ص٥٥٩). فكأن اليازجي بهذا يرد على الباحث المذكور.

وقد تبنى الباحث اللغوي وعالم النبات مصطفى الشهابي (١٩٦٥) الرأي الذي قال به اليازجي، فهو لا يلجأ للتعريب ما دام يجد اسما في اللغة العربية، ومادام هناك سبيل إلى إنتاج ألفاظ من اللغة العربية (ص٨٧).

---

[١] هو ليفي levy وكتابه بالألمانية: Die semitischen Frem Worter im Griechen.

[٢] هذا رأي الشيخ أحمد الاسكندري كما في كتاب "المصطلحات العلمية".

فمثلًا عرف العرب كلمة theatre، وعرّبوها بقولهم (تياترو)، ولكنهم استغنوا عنها بعد أن عرفوا كلمة (مسرح) (حسين، ١٩٤٧، ص١٢٤)[١].

وعرفوا كلمة avcato، وعرّبوها بقولهم (أفوكاتو)[٢]، ثم نبذوها بعد أن وجدت كلمة (محامي)[٣] العربية.

وفي المجال العلمي عرف العلماء كلمتَيْ pistil، stamin، وهما جزءان من الزهرة، فعرّبوهما بقولهم (بستيل) أو(ستام)، حتى أتى جورج بوست عالم النبات فوضع كلمتي (مدقة) و(سداة)، فأخذ بهما العلماء (الشهابي، ١٩٦٥، ص٤٦).

ومن الأمثلة السابقة يتضح ميل المفكرين إلى اجتناب الاقتراض من اللغات الأجنبية ما وجدوا إلى هذا سبيلًا، وهذا كافٍ في الرد على الباحث المذكور.

ويرى باحث آخر أن استعمال اللفظ الأجنبي حلٌّ أوليٌّ يُلجأ إليه في البداية لمجاراة ركب الحضارة، حتى إذا استقرت الأمور يُعاد النظر فيما جرى إدخاله من مصطلحات؛ بحيث يستعمل بدل بعضها ألفاظًا عربية إما مستعارة من القدماء أو يضعها المحدثون، وتظل بعض المصطلحات على حالتها إذا لم يوجد لها مقابل مناسب (السويسي، ١٣٩٥هـ، ص٩).

وأما يعقوب صروف (١٩٠٨) فيقول: إنه يفضل استخدام اللفظ العربي ما لم يؤدِّ استعمال اللفظ العربي إلى إساءة الفهم، فهو يقول مثلًا إن استعمال كلمة (داء المفاصل) للداء المسمى بالإنجليزية rheumatism يوهم أن هذا الداء لا يقع إلا في المفاصل، في حين أنه يكون في الظهر أيضًا؛ لذا فهو يفضّل استخدام كلمة (روماتيزم) التي هي تعريب الكلمة الأجنبية المشار إليها على كلمة (داء المفاصل)، ويقول أيضًا أنه يفضل استعمال كلمة (كبري) على كلمة (جسر)، وكبري تعريب kupru بالتركية، وسبب هذا أن العامة في الغالب لا تفهم كلمة (جسر)، في حين تفهم كلمة (كبري)، وللسبب نفسه؛ يفضّل يعقوب صروف استعمال كلمة (بوسطة) على كلمة (بريد) إلى غير ذلك من الأمثلة (ص٥٦٠).

ومن الواضح أن يعقوب صروف كان ينظر إلى ظروف عصره حينما كان التعليم محدودًا، واللغة التركية منتشرة؛ لكونها لغة الطبقة الراقية، ولأن الدولة العثمانية حكمت مصر فترة طويلة من الزمان، وظلت مصر بعدها مرتبطة اسميًا بتركيا، كما أن يعقوب صروف لبناني في الأصل، ولبنان كان يحكمها العثمانيون في ذلك الوقت، أما الآن فقد زال كل هذا وانتشر التعليم، وأصبحت الكلمات مثل (جسر) و(بريد) من كلمات اللغة اليومية لأي فرد عربي، فإذا أضيف إلى ما سبق أن اللغة العربية تمثل -فضلًا عن بعدها الفكري- بعدًا سياسيًا؛ لأن اللغة العربية من أهم الروابط التي توحّد الشعب العربي، ومجلة المقتطف مجلة تجامل الإنكليز وتطلب رضاهم كما يظهر من الصبغة العامة لمقالاتها في حياة يعقوب صروف مؤسسها ورئيس تحريرها لفترة طويلة، وعلى كلٍّ، فإن هذا لا يعني إنكار فضل يعقوب صروف عامة، وإنما النقد متوجه إلى رأيه هذا بالذات.

وأما أن كلمة (داء المفاصل) كلمة موهمة، فهذا لا يصلح سببًا لردها، ففي اللغات الأجنبية أمثلة كثيرة من هذه الكلمات الموهمة، ومع هذا لم يميتوا تلك الكلمات، فمثلًا كلمة catgut للخيوط التي تُخاط بها الجروح في العمليات الطبية، كما تستعمل أيضًا أوتارًا للكمان، ومن نظر إلى هذه الكلمة جزم أن هذه الخيوط من أمعاء القطط إذا لم يكن عنده خلفية عن الموضوع؛ لأن cat تعني (القط)، وgut تعني (المعي)، لكن الصواب أن هذه الخيوط من أمعاء البقر أو الخنزير في الغالب، وكلمة hysteria تعني انطباعًا أن هذا الداء لا يُصاب به إلا النساء؛ لأن الكلمة تعني في اليونانية (رحم)، ومع هذا رضي المتخصصون من الأطباء بهذه الكلمة، ومثلها كلمة (silverfox)، وهي تدل على نوع من الثعالب، وهذا الاسم يوحي أن هذا الثعلب أبيض، والواقع أن لونه أحمر، إذن فقصور بعض الكلمات في الدلالة لا يردها إذا انتشرت وقُبلت (Burnam,1982, p82).

والخلاصة أنه لا مفرّ من دخول الألفاظ الأجنبية، ولكن تظل اللغة العربية قادرة على توفير المصطلحات، وقبولها للكلمات الدخيلة دليل على رقيها لا على قصورها، وهناك مقولة مشهورة هي (pure language is apoar language) اللغة النقية لغة فقيرة. وهذا صحيح؛ لأن عدم وجود

---

[١] المسرح أصلها في الغالب مرزح.

[٢] من الإيطالية.

[٣] الصواب أن تكتب هذه الكلمة (محامٍ)، ولكن جرى العرف على كتابتها محامي.

الكلمات الدخيلة في لغة ما يعني أنها لغة منغلقة لم تتصل بالحضارات التي حولها، والحقيقة أن مجمع اللغة العربية (١٩٣٤) أحسن صنعًا عندما قيد استعمال الكلمات الأجنبية بقيد الضرورة (ص١٣). ولكن المشكلة تكمن في أنه لم يحدد الضرورة التي تسمح بذلك، ولعل الأهم أنه يجب أن تظل المصطلحات العامة والتي تدخل في حياتنا اليومية عربية ما أمكن، وأما المصطلحات الدقيقة التي لا تتجاور دائرة عمل الباحثين، ولاسيما ما كان منها علميًا، فهذه يُغتفر فيها استعمال اللفظ الأجنبي مع استعمال الألفاظ العربية المناسبة إن وجدت، وإن لم يستلزم البحث منها تعطيلًا للوقت؛ لأن الفكر يجب أن يتقدم، فإن لم تسايره اللغة سار الفكر، وظلت اللغة متخلفة[١].

ثم إن للاقتراض اللغوي أحكامًا مختلفة حسب أقسام الكلام، فهو مقبول في الأسماء، ومكروه في الأفعال، وممنوع في الحروف.

وهذه الأحكام ليست حرفية تمامًا، ولكن يُقصد منها أن الاقتراض في الأسماء أهون منه في الأفعال، وهو في الأفعال أهون منه في الحروف. وسبب هذا أن الاسم يتفرع منه مشتقات كما يتفرع من الفعل، فالاسم مثلًا يصغَّر ويُجمع، ولكن لا يُعد هذا اشتقاقًا، بخلاف الفعل الذي يتفرع منه اسم فاعل واسم مفعول واسم زمان واسم مكان واسم هيئة إلى آخر ما يسمح به الصرف العربي من الاشتقاق، وهذا يؤدي إلى توسيع نطاق المعرّب في المعجم العربي، وأما الحروف فهي أكثر أجزاء الكلام عراقة في اللغة، ولا تكاد اللغات تستعير حروفًا من لغات أخرى إلا إذا كانت متأثرة باللغة الأخرى تأثرًا شديدًا، كما استعارت الإنجليزية الحرف per من اللاتينية، وكما أخذت الفارسية والتركية حرف العطف من العربية[٢]. وأما اللغة العربية فلم تتأثر بلغة من اللغات تأثرًا كبيرًا كالذي يُشاهد في الإنجليزية بالنسبة إلى اللاتينية، ونحوه.

وإذا وجد لفظ أجنبي جرى استعماله قديمًا من العرب كان الأخذ به أولى من استعمال اللفظ الأجنبي الحديث؛ ولذا يُفضَّل استعمال (النشادر) على (الأمونيا)، كما يفضل استعمال (التوتيا) على (الزنك)، وهذه القاعدة تظهر في أسماء المدن، فيحسن بنا أن نقول (أشبيلية) بدل (سيفيليا) و(شنتمرية) بدل (سانتا ماريا)، و(مجريط) بدل (مدريد).

ومن العقبات التي يجب تلافيها من أجل نجاح هذا الأمر مسألة تنسيق ذلك، وقد تأسس عام ١٩٦١ المكتب العربي لتنسيق التعريب، ولكن تظل المشكلة عميقة، وتحتاج إلى جهود أكبر لحلها، ولا سبيل إلى الحل إلا بتظافر جانبي الوطن العربي المشرق والمغرب، والتنسيق بين المفكرين العرب وعلماء اللغة؛ لكي تصبح الجهود موحدة لحل المشكلات التي يتعثر الاقتراض اللغوي بها.

فمن المشكلات التي تواجه الاقتراض اللغوي اختلاف ثقافة المفكرين العرب اختلافًا يعود إلى الاحتلال، فالبلاد التي وقعت تحت الاحتلال الفرنسي تكون ثقافتها فرنسية، والبلاد التي وقعت تحت الاحتلال البريطاني تكون ثقافتها إنجليزية[٣].

وقد أشار يعقوب صروف (١٩٠٨) إلى هذه المشكلة منذ زمن قديم، وقال إن المثقفين بثقافة فرنسية يعرّبون اسم أحد العناصر الكيميائية بقولهم (أزوت)، وأما المتثقفون بثقافة إنجليزية فيعرّبونه بقولهم (نتروجين) حسب اسم العنصر في هاتين اللغتين.

كما اشتكى من هذا عبد العزيز بن عبد الله (١٩٧٠) مدير عام مكتب تنسيق التعريب، وقال: إن هذا الاختلاف بين اللغتين لا يحله إلا أناس متضلعون[٤] من اللغتين يقومون باستخلاص القدر العلمي المشترك بين اللغتين الذي يساعد على الوحدة في التعريب لا على التفرقة (ص٧٠).

والمشكلة أنه حتى في الكلمات المشتركة بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية، فإن النطق يختلف في اللغتين، وتبعًا لهذا يختلف الاقتراض، وعند انعقاد الدورة الثانية والعشرين

---

[١] مثال تخلف اللغة عن الفكر قولنا: طلعت الشمس أو The Sun rises، فهذه عبارة متخلفة من الوقت الذي كان يظن فيه أن الشمس تدور حول الأرض.

[٢] يكتب بالتركية هكذا ve.

[٣] يلاحظ أن الثقافة الفرنسية كانت قريبة في مصر رغم وقوعها تحت الاحتلال البريطاني؛ إذ هناك طه حسين، ومحمد حسن الزيات، وبشر فارس، وزكي مبارك، وأحمد ضيف، وغيرهم كلهم ثقافتهم فرنسية.

[٤] متضلع تعدى بمن لا (في) كما جاء في معجمات اللغة مادة: (ضلع).

لمجمع اللغة العربية في القاهرة (١٩٥٥-١٩٥٦)، قدّم الأمير مصطفى الشهابي (١٩٦٥) اقتراحًا في هذا الموضوع، قال فيه إننا عند تعريب كلمات مثل tulip, micron, fibrin ينطقها المثقفون بثقافة فرنسية؛ فيبرين، ومِكرون، وتوليب، بينما ينطقها المثقفون بثقافة أنجليزية؛ فيبرين، وميكرون، وتيولب، ويقول: إن المنطق السليم يحملنا على اتخاذ النطق السهل، وهو النطق الفرنسي بدل من اتخاذ نطقين لكل كلمة، وقد ناقش مجمع اللغة العربية هذا الاقتراح، وأصدر قرارًا بأن يكتفي باتخاذ النطق السهل لكل كلمة (ص٥٠).

ويلاحظ على هذا الاقتراح أنه نسبي؛ لأن مصطفى الشهابي قال إنّ النطق السهل هو النطق الفرنسي؛ لأنه يجيد اللغة الفرنسية أكثر من اللغة الإنجليزية؛ ولذا كان المجمع موفّقًا عندما أوصى باتخاذ النطق السهل دون ربطه بلغة معينة.

كما يلاحظ على الاقتراح أنه اكتفى بالإشارة إلى الاختلاف في الحركات vowels، ولم ينبّه على الاختلاف في الحروف الصوامت con sonants، وإن كان الاختلاف في الحركات أكثر منه في الصوامت.

ومن الأمور التي تسبب اختلاف صور هذا الأمر، عدم الاتفاق على منهج موحد في تعريب الكلمات الأجنبية عند دخولها اللغة العربية.

وقد حاول مجمع اللغة العربية حلّ هذا بوضع منهج موحّدٍ لإدخال الألفاظ الأجنبية في العربية، ومن الطبيعي أن يكون التركيز على الحروف التي لا يوجد لها نظير في اللغة العربية، وقد راعى مجمع اللغة في قراراته النطق اليوناني واللاتيني للحروف الأجنبية في بادئ الأمر (الشهابي، ١٩٦٥، ص١١٧).

فقرر المجمع أن يرسم الحرف G باللاتينية غينًا، إلا ما عرّبته العرب بالجيم؛ لأن الحرف G يُنطق في اليونانية غينًا وكافًا، ففضّل المجمع أن يرسم هذا الحرف غينًا؛ لكي يبتعد عن الإقليمية في رسم هذا الحرف؛ لأن النطق القاهري لحرف الجيم العربية كافٍ، ويلاحظ على المؤلفين المنتمين إلى دول تنطق القاف العربية كافًا، أنهم يرسمون الحرف G قافًا، فيقولون "قولد" لتعريب Gold مثلًا، وهذا خطأ، والصحيح أن يكتب هذا الحرف غينًا اتباعًا لقرار المجمع، وقد كان العرب يعربون الحرف G بطرق مختلفة؛ فأحيانًا يعرّبونه جيمًا مثل "برجر" تعريب paragauda، وأحيانًا يعرّبونه كافًا مثل "كرزن" تعريب كَرزن، وأحيانًا يعرّبونه خاءً مثل "زخرف" تعريب zoograph، وأحيانًا يعربونه قافًا مثل (دهقان) (تعريب) (دهكان)، وأحيانًا يعرّبونه غاءً مثل غراماطيقا تعريب grammatika، وعليها هذا وقع الاتفاق.

أما الحرفp فقد أوصى المجمع بأن يعرَّب هذا الحرف باءً إذا كان مشدّدًا نحو أبقراط Hyppcrates، وفيما عدا هذا يعرَّب فاءً، إلا فيما عرّبته العرب فاءً، أما الحرف V فأوصى المجمع بكتابته واوًا.

وقد اشتكى المفكرون من عدم الالتزام بقرارات المجمع، حتى إن المجمع نفسه لم يلتزم بما قرره، فعاد على قراراته بالتنقيح، وأخيرًا قرّر المجمع أن قراراته لا تطبق إذا اشتهر الاسم بتعريب يخالف ما قرره المجمع نحو (باريس) لا تعرّب فاريس؛ اتقاءً للخلط.

وعلى كل حال، فقد آتت هذه الطريقة (الاقتراض اللغوي) ثمارها، وتجري على ألسنتنا كلمات كثيرة معرّبة حديثًا، ولا نحسّ بنفورٍ منها، كـ(الطماطم، والبطاطا أو البطاطس، والجوافة، والغوريلا)، ونحوها.

وقد فكر عدد من المشتغلين باللغة -ولاسيما في سوريا- في تعريب اللواحق الأجنبية، وطبّق هذه القاعدة أساتذة الكيمياء في جامعة دمشق، فعرّبوا اللواحق الأجنبية، وألحقوها بأسماء عربية، فأوجدوا ألوف المصطلحات العربية بهذه الطريقة، مثل:

خلون acetone، خليل (acetyl)، فحميل (carbonyl)، نمليل (formgl)، سكريات (glucosides)، هضميد (peptid)، هيوليد (proteeid).

كما فكر محمد عزيز الحبابي عميد كلية الآداب في الرباط في تعريب اللاحقة ((logy، فأوجد كلمات (فكرولوجيا) Ideology، و(أسطورولوجيا) mythology، ونحوها، لكن لم توفق فكرته (الشهابي، ١٩٦٥، ص١٩٦).

والخلاصة أن الاقتراض اللغوي من الغير وسيلة لإثراء اللغة لا سبيل لإنكارها، بشرط ألا تطغى هذه على اللسان العربي، وأن توحد طريقة ذلك.

الخاتمة:

لقد خلص البحث إلى النتائج الآتية:

أولًا: إن مبدأ الاشتقاق هو الطريق الأنسب من أجل إنتاج وإيجاد المقابل اللغوي العربي للمصطلحات الأجنبية؛ لكونه منسجمًا مع طبيعة اللغة العربية وقوانينها، لكن يُعاب عليه البطء، فضلًا عن أنه يحتاج إلى اتفاق في الآلية أو الطريقة بين المترجمين.

ثانيًا: إن المجاز، والنحت، والتركيب المزجي، وإحياء التراث اللغوي لم تكن بمثل نجاعة الاشتقاق في إنتاج المقابلات العربية للألفاظ الأجنبية.

ثالثًا: يمثل الاقتراض اللغوي الحل الأخير عندما تفشل الطرق السابقة في إنتاج المقابلات اللغوية المناسبة، غير أنه مقصور على الضرورة، لكن من مميزاته السرعة على عكس الطرق السابقة.

رابعًا: إن هذه الجهود في وضع المصطلحات تعطي انطباعًا يقينيًا بقدرة اللغة على استقبال المصطلح الأجنبي وتعريبه من خلال الوسائل المتعددة التي يمتلكها نظام اللغة العربية.

خامسًا: تمثَّل جهود اللغويين العرب في وضع المصطلحات نموذجًا مثاليًا لغيرة أبناء هذه اللغة، على الرغم من الظروف التاريخية التي مرّ بها الوطن العربي إبّان مرحلة الاستعمار ودهشة الغزو الحضاري.

سادسًا: استثمار هذه الجهود اللغوية، كونها هدفًا سعى البحث إلى تحقيقه في وضع المصطلحات، وجعلها منوالًا للاستمرارية المحافظة على اللغة العربية؛ كونها مكونًا رئيسًا في تمثيل الهوية العربية، وتحقيق التنمية البشرية في مجال التخطيط اللغوي والاقتصاد المعرفي.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

باقر، طه (١٩٨٠). *من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل*. بغداد: المجمع العلمي العراقي.

برجشتراسر (١٩٨٢). *التطور النحوي للغة العربية*. (ط٢). القاهرة: دار الخانجي والرفاعي.

بن عبد الله، عبد العزيز (١٩٧٠). *التعريب ومستقبل اللغة العربية*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

جواد، مصطفى (١٣٧٦هـ). "وسائل النهوض باللغة العربية". *مجلة المجمع العلمي العربي*. (٣٢). ١٨٧.

حسين، عبد القادر (١٩٤٧). *الاشتقاق والتعريب*. (ط٢). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

حسين، محمد كامل (١٩٥٥). "القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية". *مجلة مجمع اللغة العربية*. (١١). ١٣٨.

الحصري، ساطع (١٣٩٥هـ). "حول الاصطلاحات العلمية". مجلة اللسان العربي. (١٢). ٤٥.

حقي، خير الدين (١٣٩٥هـ). "إمكانات العربية". مجلة اللسان العربي. (١٢). ٢٦.

الزمخشري، أبو القاسم (د.ت). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: دار المعرفة.

السويسي، محمد (١٣٩٥هـ). "مشكلة وضع المصطلح". *مجلة اللسان العربي*. (١٢). ٩.

سيبويه، عمرو بن عثمان (١٣١٦هـ). *الكتاب*. الجزء الثاني. بولاق: المطبعة الأميرية.

الشهابي، مصطفى (١٩٧٦). "أهم القرارات العلمية في مجمع اللغة العربية". *مجلة المجمع العلمي*. (٣٢). ٥٨٦.

الشهابي، مصطفى (١٩٦٥). *المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث*. (ط٢). دمشق: المجمع العلمي العربي.

الصالح، صبحي (١٩٧٨). *دراسات في فقه اللغة*. (ط٧). بيروت: دار العلم للملايين.

صروف، يعقوب (١٩٠٨). "أسلوبنا في التعريب". *المقتطف*. (٣٢). ٥٦٠.

ظاظا، حسن (١٩٧٠). *كلام العرب*. بيروت: دار النهضة العربية.

عبد الباقي، ضاحي (١٩٧٩). *المصطلحات العلمية قبل النهضة الحديثة*. القاهرة: مطبعة الأمانة.

العلايلي، عبد الله (١٩٦٣). *المرجع*. بيروت: دار المعجم العربي.

غصن، مارون (١٣٥١هـ). "النحت في اللغة العربية وسيلة لتوسيع اللغة العربية". *مجلة المجمع العلمي العربي*. (١٣). ٣٠٠.

ابن فارس، أحمد (١٩٦٣). *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*. بيروت: مؤسسة بدران.

فارس، بشر (١٩٣٩). *مباحث عربية*. القاهرة: دار المعارف.

فليبسون، روبرت. (٢٠٠٧). *الهيمنة اللغوية*. ترجمة: سعد الحشاش. الرياض: جامعة الملك سعود.

الكرملي، أنستاس (١٩١٦). صفحة المؤلف. *مجلة لغة العرب*. (٤). ٤٥.

الكرملي، أنستاس (١٩٣٥). "تناظر العربية واليونانية". *مجلة مجمع اللغة العربية*. (١). ٢٨٦.

الكرملي، أنستاس (١٩٣٨). *نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها*. القاهرة: المكتبة العصرية.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت). *المقتضب*. الجزء الثالث. بيروت: عالم الكتب.

مجمع اللغة العربية. (أكتوبر١٩٣٥). "قرارات الدورة الأولى لمجمع اللغة العربية". *مجلة مجمع اللغة العربية*. (١). ١٣.

مجمع اللغة العربية. (١٩٤٨). "قرارات مجمع اللغة العربية". *مجلة مجمع اللغة العربية*. (٥). ١١.

المحمود، محمود. (٢٠١٥). *التخطيط والسياسة اللغوية تجارب من الدول العربية*. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

المعلوف، أمين (د.ت). *معجم الحيوان*. بيروت: دار الرائد.

معلوف، عيسى (يوليو ١٩٠٨). "الشيخ إبراهيم اليازجي". *مجلة المقتطف*. (٣٣). ٥٥٩.

نخلة، رفائيل (١٩٦٦). *غرائب اللغة العربية*. بيروت: ١٩٦٦م.

وافي، علي عبد الواحد (١٩٧٣). *علم اللغة*. (ط٧). القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

المراجع الأجنبية:

Burnam, Tom (1982). The Dictionary of Misinformation. Newyourk.